حديث هادئ بيننا

قصص وخواطر

حديث هادئ بيننا

إبن عبد الله الحاج محمد

كوهينور للنشر و التوزيع

الطبعة الأولى
إصدارات كوهينور 2024
ردمك: I.S.B.N: 978-9931-272-59-5

الكاتب: إبن عبد الله الحاج محمد
عنوان الكتاب: حديث هادئ بيننا
الإخراج الفني: أحمد الشافعي ملكي
المدير العام: بوسطة نور الهدى

الناشر: دار كوهينور للنشر والتوزيع
إيميل: kohinoorpublishing@gmail.com
هاتف: 0783067133-0673415440
كوهينور للنشر والتوزيع -سيدي بلعباس

جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

كوهينور للنشر و التوزيع

اجتماع عائلي

"اذا تساوى العاجز والمستطيع أصبحوا كلهم عاجزين"... هكذا أنهى العم سعيد كلامه ونحن جالسون عند مأدُبة عشاء متنوعة الأطباق، على شرف ضيفنا القادم من فرنسا.. كان النقاش حادا فحاولت أن ألطّف الجوّ قليلا ...

" إعلموا أننا نعيش نعمة لن نحسّ بها إلا عند فقدها .. أنظروا مثلا إلى اجتماعنا هذا والمتعة التي تعمُّ الجميع " ..

عاد الضيف أنيس إلى أول الموضوع الذي إفتتحه هو..

" إنكم هنا لا تعملون، وتتقاضون راتبا على مجهود لم تبذلوه ..أما في فرنسا ،فسنموت لو توقّفنا عن العمل..".

أجابه العم سعيد: " قلت لك أنه إذا تساوى العاجز والمستطيع أصبحوا كلّهم عاجزين.. أنتم تتقاضون مقابل كلّ جهد تبذلوه، أما نحن فلا يأبه أحد لما تقدمه.. لن يعترفوا به.. ستتقاضى نفس الراتب الذي يتقاضاه ذلك الكسول، الذي أفهمهم أنه لا يُتقن العمل أو، مثل صاحب السّمو .. الموظف خمس نجوم الذي إنضمّ إلينا مؤخرا بتوصية من السيد فلان.. نعم أنت تعمل بجدّ، وهذا يجعلهم يضاعفون عملك لكي يرتاح غيرك ..غيرك الذي سيصبح مسؤولا عليك ..هكذا يغرسون فيك

العجز، فأنت والعاجز سواء .. فلنكن كلنا عاجزين إذا".

سكت العم سعيد قليلا ثم التفت إلي: " وأنت أين المتعة في اجتماعنا هذا ؟..هل أنت مستمتع بدفعك كامل راتبك تقريبا، من أجل إسعاد ضيوفك ؟..ألم تعلم قوله صلى الله عليه وسلم (لا تَكلَّفوا للضيف)؟ ورغم كل هذا أنا لست مستمتعا .. فلم أتطيّب الطعام جرّاء حديثكم هذا .. وقديما قيل درس وضرس لا يجتمعان ."

وضعتْ ربّة البيت أصنافا جديدة من المأكولات الحلوة، رغم أن الجميع قد شبعوا على ما يبدو.. فكل الأطباق عادت ممتلئة إلى المطبخ. لقد تغيّرت العادات، فأصبح من اللائق إفساد الطعام بتذوّقه مع الحرص على عدم إتمامه، وإلا سيكون منظرك مخزيا ..

هكذا فعلت إحدى بناتي بأن بدأت حوارا جديدا، دون أن تفكر كيف تنهيه.. نعم لقد أفسدت الهدوء الذي كان سائدا:

" عم أنيس ..عم أنيس، ما نوع عملك الذي يدرُ عليك كل هذا المال؟ "

أطال أنيس مضغ قطعة الحلوى في فمه إلى حين يجد حلا لهذا الموقف، فهو لا يحبّ التكلم عن حياته، ويُطيل التذمّر من عيشنا.. حتى أصبحنا نشعر أنه وزير الجزائريين في فرنسا ..أعلم بعدم وجود هذا المنصب هناك .. ولكن لكثرة الوافدين إلى فرنسا أظنّ أنه يجب التفكير فيه .

"ممم..ممم.. أنا لا أعمل عملا واحدا فقط .. أنا أعمل ليل نهار 24 سا على 24 سا.."

" إذا فأنت تأخذ أجرا لعدم النوم هههه.." يتدخل العم سعيد بتهكم..ثم يضيف قائلا:

" طيب وكم تتقاضى في الأسبوع؟ "...

مع إصراره على سؤاله، لم يجد أنيس مخرجا من الإجابة:

" حوالي.. حوالي ..أنظر قليلا يجب عدم حساب الراتب بالعملة الوطنية، وإلاّ سيكون مبلغا مهولا .. لهذا تراني أُنفقُ ببذخ"..

ضاع السؤال .. وقبل أن يذكّرنا العم سعيد بضياعه وبأنّ أنيس لا يُنفق ببذخ كما يدّعي، وقفتُ من أجل سكب الشّاي محاولا وضع حاجز بينهما .. لعلّ عدم رؤية بعضهما البعض يحدُّ من التّوتر في الحوار.. وكما قيل (العين مغراف الحديث) .

تناول الجميع ما بقي في الأطباق.. الكلّ يبحث عن شيءٍ حلو.. كما أن ربّة البيت تحرص على مواصلة إشغال أفواههم ريثما يتذكر أحدهم أن له موعدا مُهمًا، ويجب عليه المغادرة.. هكذا يحدث عادة، و حينها سيلحقُ به الباقون.. وإذا لم يحدث هذا فتأكد أن صديقي الطبيب المناوب ينتظر حالة خطيرة هذه الليلة.. دون شك.

مفاهيم

تعجبني اللغة العربية في أمور كثيرة .. فهي لغة القران أولا، ولغة بلدي وآبائي.. ولها مزايا يعرفها أهل الإختصاص. لكن ما يعجبني أكثر فيها، دقة تعبيرها الذي يعطي للشيء الواحد عدة أسماء تختلف معانيها بعض الشيء.. فالأسد هو الليث والعبوس والدّلهام وأبو لبدة والضرغام ..وغيرها، و لربما كنت لا تدري أن ناهل وهيمان وصديان و ضمآن بمعنى عطشان.. إن كلّ الأسماء تدلّ على معنى، الذي هو صفة لها.. وإلا فسيكون الاسم عبثا دون قيمة..

لقد التقيت جاري الجيلالي الذي تزوج بعد أن رحل من حيّنا مع أبويه، كنت مع ابنتي عبير، حتى تفاجأ المسكين بابنته الصغيرة تكاد تسقط في بركة الماء.. فنادى بأعلى صوته:

" بختة، بختة.. إحذري.. أريج تكاد تسقط .. !! " والحمد لله لحقت بختة زوجة الجيلالي، بأريج ابنتهما قبل السّقوط... أعتقد أن تعبيري أصبح سيّئا .. سأتوقف ألان..

قبِلنا على مضض "أريج" و" أية" و"ألاء" ..لكن بعض الأسماء لها معنى غريب.. فنهاد مصدر ناهد، وهي الفتاه التي برز نهدها.. ووِصال تعني الجماع .. ولقد سألت إحداهنّ عن معنى

إسم ابنتها "تارة"، فأجابتني بقوله تعالى(ومنها نز**جب**كم تارة أخرى) وسألت أُخرى عن اسم ابنتها "إسراء" فذّكرتني بسورة الإسراء.. وهل ستسمّين ابنك القادم "كهف" ؟ وأختها الكبرى ..هل تُدعى "نحل"؟.. طبعا على حسب ترتيب سور القرآن الكريم... هل يُعقل هذا؟ أليس هذا القران المبارك أنزله الله تعالى(لتخرج النّاس من الظّلمات إلى النور) **و** (ليدّبروا آياته)؟؟؟.

تذكرت كتابا للدكتور عبد الله شريط ،إسمه "معركة المفاهيم"، ولو ألّف اليوم، لعنونَ كتابه: "اختلاط المفاهيم" .

بالقرب من منزلي، تمّ تدشين طريق عمومي بمحاذاة شركة الكهرباء.. ولذلك وضعوا مئات الأضواء على ما أظن.. على حافتي الطريق يوجد عشب تجلس عليه العائلات ،ويلعب فيه الأطفال، ويتسامر عنده الأصدقاء، وتوضع عليه أنواع المأكولات للعشاء، وبعض المشروبات لزوم السهرة.. مع فلاشات الكاميرات التي يصوّر أصحابها أجمل اللحظات...

نعم كل هذا لأنهم وضعوا بعض العشب فقط ...

لا أجد أيّ متعة في الجلوس وسط هذا الزخم ..كما أنني لا أحب العشب ..هذا إن كنت لا أزال أراه ..لكنّي أمرّ عبر هذا الطريق أحيانا، واستوقفني مرة أن سمعت صراخ إمرأةٍ تضع على رأسها خمارا وحيدا بين باقي الملابس :

" لا ترمي غلاف الحلوى على الأرض.. كيف ترضى أن ينحني عجوز في سن والدك كي يلتقطه غدا ؟ .."

وتعجبت كيف تأكدّتْ أنّه سيكون رجلا عجوزا ؟؟ وهل كل الشيوخ يلتقطون القمامات؟؟ هناك الكثير منهم يشغل منصب مدير عام.. أو وزير..

لكنّ عجبي لم يعد له معنى، حينما علمت أن الذي كانت تصرخ في وجهه أمام الملإ .. هو زوجها.. نعم تكاد تضرب زوجها أمام الناس، لأنها خلوقه ،وتشفق على ملتقط القمامة غدا .. !!!

أظن أن هذا من الأسباب التي جعلت الغرب ينفرون من الإسلام، عندما يرون هذه المشاهد.. يصدرون حكما عامّا علينا جميعا ..هكذا الناس.. فأنا مثلا أكره كل الأحصنة، لأنني ركبت حصانا مرة واحدة في حياتي... كان ذلك يوم زفافي.

لن أقبل كل هذا

لست من الذين يقبلون الأخر ببساطة .. ربّما لأن النّاس لم يتركوا أثرا حسنا في معاملاتهم معي.. هذا وفقا لمفهومي للأثر الحسن.

فالأثر الحسن عندي، هو أن تقابلني بمثل ما قدّمته اليك.. فلو قطعتُ أنفاسي في يوم من أيام ديسمبر، من أجل دفع سيارتك التي أصابها عطل في البطارية.. فلن أقبل منك (الله يعاونك) وأنت تراني أعاني محاولا نقل الثلاجة إلى الطابق الذي أسكن فيه..

ولست مضطرا كي أوضح لك أنّي محتاج مساعدتك، خاصة انّي أسكن في الطابق الأول فقط ..ولسنا في فصل تتجمد فيه أصابع يدك، وأنت تحاول مساعدتي..

كيف لي ان أقبلك، وأنا أراك كلّ يوم تحمل في يدك كرسيّا، تجلس عليه وتراقب حركات جيرانك.. ثم تنقل ما رأيته وما كنت تريد أن تراه ولم يحدث، إلى شبهِكَ الذي لم يمتلك ثمن شراء كرسي البحر، أو كرسي الشاطئ، أو كرسي الّرمال.. المهم هو ليس كرسيّ الشّارع.. وصاحبه لا يمتلك أبدا هذا الوقار الذي يدّعيه بعلمه أخبار الغير كما يظن.. فهذا العلم يعطيه القوة بقدر ما يعطيك من الضعف، لأنه يعلم عنك حتى ما لا تريد أنت ان تظهره

له، باستراقه السمع والنظر غيبةَ ونذالةَ..

لذلك كان التصنيف في علم الأخبار فنّا نبيلا.. فصاحب البداية والنهاية، يقول في مقدمة كتابه العظيم، أنه يذكر الأخبار المنقولة المعقولة عند العلماء وورثه الأنبياء.. أي أنه يتحرّى المنقول والمعقول.. لأنّ النّاس يميلون إلى نشر العجائب والغرائب..كما قال ابن خلدون بأن من أسباب انتشار الكذب، ولوع النفس بالغرائب ،وسهوله التجاوزعلى اللسان، وعدم محاسبة النفس على الخطأ، وعدم مطالبتها في الخبر بالاعتدال والصدق .

الناس يريدونك شخصا بلا عقل ولا أقول شخصا غبيا.. فهُم لا يعرفون الغباء لأنهم اعتادوه وصاروا متلبّسين به .. كالذي لا يشمّ رائحته.

ومن يختلف عنهم إما أن يكون ذكيا، وهو العدو، أو مغيّب العقل وديعا ..وهذا أحبّ الناس إليهم..

إنهم أغبياء جدا، ويرفضون كونهم كذلك، لذلك تراهم ينفرون من التعلم ويهابون حسن الأخلاق..

هؤلاء هم الذين يتجرؤون على معاداتك لمجرد أنّك أصبحت تُلقي السّلام عليهم مجرّدا مما يسمونه مجاملات.. !! وما الجميل في إعادة (لا باس) عشرين مرة في اللقاء.. كي راك لا باس؟ الدار لا باس؟ الدراري لا باس؟.. ولا اعلم أحدا يجيب انه (ماشي لا باس) في هذا اللقاء العابر ... ولا أعلم أحدا قيل له (مارانيش لا باس)،

فتصرّف كي تصبح الأمور (لا باس)..إنهم يسألون لمجرد السؤال فقط !!!

نعم انا لا أسالك عن خصوصيّتك.. وأين تعمل؟.. وكم أجرك؟.. وهل زوجتك تعمل أم لا؟.. فلِم إصرارك على توقيفي عشرين دقيقة على قارعة الطريق، كي تستجوبني عن تفاصيل حياتي؟؟.. ولا يغنيك أن تدعوني إلى شرب القهوة من الكأس البلاستيكي الذي تحمله معك، وأنت تمشي.. والله أعلم إن كنت اشتريته، أو أخذته من صديقك الذي أوقفك ليسألك عن عائلتك قبل قليل...

أف.. لقد كدت أنسى موعد مقابلة أحدهم ..لكن لا يهم في الأخير.. لأنه وأمثاله، لا يعيرون للوقت اعتبارا.. وباستطاعة أحدهم أن يروي لك أحداثا حصلت له، دون أن يذكر الزمن.. فيقول لك مثلا: " حدث لي أن استيقظت متأخرا، لكنّي أسرعت بعدها وركبت سيارتي، غير أنّي وجدت الأبواب مغلقه... إن الإدارة عندنا تغلق أبوابها متى تشاء.." يقول متذمرا..

وكل هذا دون أن يذكر لك وقت نهوضه، أو وقت وصوله إلى الإدارة التي بالفعل تغلق متى تشاء ..لأن الوقت معدوم عند كثير من الموظفين.. فعند 8:00 صباحا، لا تجده .. ولكن تجد سبب غيابه، هو أنّك جئت مبكّرا وهو لا يزال في المقهى.. أمّا عند الرابعة مساءا..

فلن تجد حتى من يعطيك عذرا لعدم وجوده ..الجميع هنا غائب ..لا لن أقبل كل هذا...

أنت السبب يا صديقي...

ذهبت أحد الأيام لأستخرج بعض الوثائق التي يحتاجها أخي، بحكم أنه لا يجيد فن الأخذ والرّد، ولا يُحسن أسلوب التملّق كما أنه لا يملك نفَسا طويلا، ويظن أن بإمكانه أخذ ما يريد بمجرّد أنه يملك الحق في ذلك..

خرجت من البيت، وبعد أن أخذت فنجانا من القهوة بأحد المقاهي، توقفتُ عند الصيدلية لشراء بعض مضادات الحموضة، ومُسكّن لآلام الرأس، مع قارورة كحول إتيلي، وضمّادات لعلّ الأمر يتفاقم، أو يخرج عن السيطرة..

تنفّست الصعداء واستجمعت قواي وقرأت ما تيسّر لي من الأذكار.. لكني وعند اقترابي، اكتشفت أنني عاجز على مواجهة الموقف، ولا أملك القوة والصبر الكافيان، وشعرت بأن أخي قد جازف بي.. فلم يطلب وثيقة أو وثيقتين.. بل طلب استخراج ثلاث وثائق.. إنه الإنتحار.. لا لن ينفعني سوى الإستنجاد بأحد الأصدقاء..

أخرجت هاتفي، وبدأت في البحث عن مُنقذ.. وبالفعل طلبت أحدهم لعلمي بامتلاكه علاقات متشعبّة .. لكنّه بالكاد بدأت في بسط طلبي، حتى قاطعني..

- " إسمع إن محمد صديقنا يعمل هناك، إتصل به، وسيقوم بالواجب.."

ألو.. ألو.. إنتظر.. إنتظر.. لقد أنهى المكالمة.. محمد !! وهل هناك محمد واحد !!!

دخلتُ إلى مكان استخراج الوثائق وسألت عن محمد.. طبعا أنا لست مجنونا .. محمد يا أخي ..محمد الذي يُمكنه أن يستخرج لي هذه الوثائق.. نعم أريد هذه، وهذه، وهذه، تفضّل إطّلع عليها .. إنها جد مهمّة، وأنا أريد محمد الذي سيستخرجها لي..

كنت أرجو أن أجد الوثائق عن طريق محمد.. لكنني أصبحت أبحث عن محمد عن طريق الوثائق..

آه هناك ثلاث محمد يمكنهم مساعدتي لكنّهم غائبون.. حاضر.. نعم.. نعم شكرا، لقد دوّنت بياناتهم.. شكرا..

أظن أن الأخير هو المقصود، وحسب التحريّات فإنه صديقي محمد ابن عمي سليمان.. كان يدرس معي قديما..

إتصلتُ بصديقي لكنّه لا يرُدّ.. وأنا لست من أولئك المزعجين الذين يكررون المحاولة.. لكنني عاودتُ الإتصال به مرّات لأنه كان يضع النشيد الوطني كرنّة انتظار.. ليته لا يرُدّ.. إني أحب سماع النشيد الوطني..

" ألو.. أهلا.. أين أنت يا صديقي " يقول محمد رادّا على الهاتف..

-أنا : " الو.. أهلا .. محمد.. كيف حالك، إشتقت إليك.."

- محمد : " وأنا كذلك..هل أنت بخير؟"

أنا : " نعم يا أخي أنا بخير، لكنني أحتاجك في مكان عملك.. أريد استخراج بعض الوثائق.."

- محمد : " مرحبا بك مُرّعليّ غدا ستجدني بانتظارك، لأنني اليوم خرجت مبّكرا لأشاهد مبارة كرة القدم.. تعلم أنني لا يمكن أن أضيع مشاهدة ميسي.. هه .."

ميسي!! ومصالح الناس من يتولّاها إذا ؟ وإن كان الأمر هكذا، فلماذا يضع النشيد الوطني؟ إن حبّ الوطن يستدعي القيام بالواجبات، وبدل الجهد في سبيله..

عُدتُ أدراجي خاليَ الوِفاض.. محمد غائب، ولم يحاول حتى معرفة نوع الوثائق التي أحتاجها.. هو لا يهتّم لي وأنا صديقه .. فكيف سيهتّم بي غيره ؟ سأعود غدا على كل حال.. وأنا أحمد الله أنني درستُ يوما ما مع محمد ..بقي الدّور على من لا يعرف محمد .. كيف سينجز أعماله ؟ المسكين !! ربنا معه..

في طريق عودتي، حاولت أن أجد الكلمات لرفع معنويات أخي الذي سيكون لا محالة غاضبا، منفعلا من فشلي.. لكنّي لم أفشل.. لقد تأجّل الأمر ليوم واحد فقط.. لا أظن أنه سيفرق كثيرا معه.. هو يبالغ فقط..

وبقيتُ هكذا أُحدّث نفسي، حتى خطرَت لي خاطرة، أن صديقي محمد قد يكون سببا من أسباب الطلاق بين الزوجين.. فتصرّفه هذا كافٍ لجعلك تنهار نفسيا.. وقد يمكِنك أن تكتم غيظك خارج البيت.. لكنك ستنفجر كالبركان ولأيّ سبب بسيط أمام أولادك وزوجك.. وسيدفعون هُم ثمن ما جناه غيرهم .. ولقد علمتُ من أحد المحامين، أن نسبة الطلاق مرتفعة.. والعجيب في الأمر، أنه كثيرا ما يكون الطلاق لأسباب تافهة.. كعدم كيّ القميص أو عدم الإتفاق على وجبة العشاء، أو حتى على لون الصالون !! لا أظن أن هذه الأسباب ومثلها، كفيلة بهدم أُسر بأكملها.. لا أظن ذلك .. أنا متأكد أن صديقي محمد هو السبب..

نصائح زائفة

كنت جالسا مع العم سعيد في أحد المقاهي بجوار مسكنه ومعي ولدي جواد...

شرب جواد عصيره بسرعة وقام كي يداعب كرته بالقرب مني..

" جواد يا ولدي لا تبتعد عني ، ولا تلعب أمام الطاولات كي لا تزعج الجالسين، وإياك أن تقترب من القطة الجالسة هناك، ولا ترمي الكرة بعيدا ،وانزع معطفك كي لا تتعرق..."

أمسك العم سعيد بيدي، كأنه يشير عليّ بالتوقف عن إصدار الأوامر..

-العم سعيد : "دعهُ يلهو.. لا تحجُر على حريّته.. فإنّ كثرة القوانين تستدعي خرقها.."

ثم استرسل قائلا :" أعلم أنك تحبه، وتخشى عليه من كل سوء، إلا السوء الذي قد تصيبه به أنت.."

أجبته قائلا :" وكيف أصيبه بسوء وأنا أخشى عليه من نسيم الهواء ..لا أظن أن أبا يحب غير الخير لإبنه.."

-العم سعيد : " نعم ولكن مفهوم الخير يختلف ،وهو مفهوم نسبيّ .. فأنا أرى أنه من الخير لك أنت أن يلعب بالقرب منك ، كي

لا تضطر إلى تتبّعه.. ومن الخير لك أيضا أن لا يُزعج الجالسين كي لا يصرخوا عليه، وتقوم أنت بالدفاع عنه، وهذا سيقطع هدوءك وتمتّعك بشرب الشاي.. أرأيت أنك تريد الخير لنفسك وليس له.."

-أنا :" وهل من الخير أن أتركه يعبث كما يشاء دون قيود؟!"

-العم سعيد :" لا لم أعني هذا، بل عنيتُ أن كثرة القيود ستريحك أنت، لكنها ستفسد عليه متعته، و قد تفسده هو بحد ذاته.. ولأضرب لك مثلا ..

في أحد المدارس أعطى أستاذ الألعاب الرياضية كرة قدم لمجموعة تلاميذ، واشترط عليهم أن يلعب كل واحد بها لوحده لوقت محدد ،دون أن يمرّر لزميله ،وحذّرهم من عدم احترام المدّة المحددّة للّعب بالكرة، كما جعلهم يراقبون بعضهم البعض.. وكل من يتعدّى الوقت المحدد، يعاقب بالخروج من المجموعة، على أن يشهد عليه إثنان من زملائه.. ثم غادرهم إلى غاية اقتراب نهاية الحصّة، وعندما عاد، وجدهم جميعا يلعبون مقابلة كرة القدم.. فوبّخهم وذكّرهم أنهم خانوا ثقته فيهم، وأنه يتحمّل نتيجة طيبته وسذاجته، ثم عاقبهم جميعا.."

-أنا :" نعم، لا ينبغي وضع الثّقة في غير موضعها ،كان يجب عليه أن يراقبهم، أو أن يمنع عنهم اللّعب بالكرة من أساسه.."

-العم سعيد:" لا، هذا غير صحيح، كرة القدم لعبة جماعية، هذا أولا ..ثم إن كثرة أوامره قتلت متعة اللعب ..ألم

تلاحظ أنه منعهم من لعب المباراة سويا، لأنه يعلم أن فيها حماسا وتلاحمات تستدعي مراقبا عليهم.. وهو يريد أن يستريح..

ثم إن القوانين التي وضعها ستؤول حتما إلى طرد الجميع.. ولفكّ هذا الخناق، إتفقوا على مخالفتها متى تسنّى لهم ذلك.. وليس هذا خيانة للثّقة، لكنه عندما لم يقم بدوره في تعليم التلاميذ، وتشجيعهم على ممارسة الرياضة، وإهمالهم، وعدم مراقبتهم، غرس فيهم نفس التصرف، وتعاملوا باللامبالاة التي تعامل معهم بها.. بل إنهم فهموا أن التضييق عليهم كان في سبيل إرضائه ،ورفع مشقّة القيام بالواجبات التي عليه..

ثم دعكَ الآن من الأستاذ الذي أنت تدافع عنه.. بالله عليك هل تصدق أن من مصلحة الأبناء وضعهم عند الحاضنة طوال اليوم وهم في هذه السن المبكرة ؟؟ "

شردتُ بذهني صامتا ..فلقد أثّرت في نفسي الفكرة التي طرحها عم سعيد ..ورحتُ أشاهد ولدي جواد، جالسا على الكرة بدل أن يلعب بها ..فقمتُ مسرعا وأمسكت بيده ،وركلتُ الكرة بعيدا..

-" جواد يا ولدي ..هيا نلعب سويا، فشرب الشاي ليس أهم من متعتك.. ولتذهب نصائحي إلى الجحيم.."

رغم أنني تركت العم سعيد وحيدا دون أن أستأذنه، إلا أنني رأيت الابتسامة بادية على وجهه.. ولا أظنّه إستاء من تصرفي..

نعم فلتذهب نصائحي إلى الجحيم ..المهم أنني رأيت العم سعيد فرحا...و ولدي كذلك..

أنت تتغير

إلتقيتُ أمين صديقي الذي افتقدت مجالسته منذ أن تزوجت.. لا أخفي أنّي مستمتع بجوّ الأسرة وضجيج الأطفال.. لكنّ بعض التغيير حسن من حين لآخر، أقصد التغيير في النّوع، وليس ذلك الذي يكون من جنس واحد.. يعني أنني لا أطلب مجالسة أطفال غير أطفالي، أو زوجة غير زوجتي.. لكنّي قد أرتاح قليلا عندما التقي صديقا بعيدا عن روتين الأسرة..

بدأ في الحديث مباشرة عن حبيبته التي تعرّف عليها قبل أسابيع.. تكلّم عن كلّ ما هو جميل فيها دون أن يصفها.. فهو أصبح يغار عليها.. وللهفته أشفقت عليه وأخبرته أن يكون مستعدّا لأيّ تغيير قد يحدث.. والتغيير قد يضر أحيانا، عكس ما هو مفهوم..

إنتفض في وجهي مدافعا عن شرفه.. نعم فهو يعيش الدور قبل أن يُقبل في فريق التمثيل .. بالنسبة إليه هي عرضه، و لا يستطيع التوقّف عن التفكير.. فيها.

بدأت أظهر كالجبان لأنّي تركت زوجتي التي تمثّلني وأمثّلها، وجلست إلى هذا التافه أستمع إلى ترّهاته.. وتذكرت خاطرة لي كنت كتبتها قديما:

لم يعرف الحبّ سوانا ولن يعرفا.... كيف و الحبّ بيني وبينكِ نصّفا ..

وقلت في أخرى:

عشقتكِ بالفؤاد فظلمته... إذ حسدته فيكِ روحي والأعضاءُ..

أراني في هواكِ مثل الذي... تاه في الأرض فالتقطتهُ السّماءُ..

وإنّ لكِ في حشايا منزلة... أعلاها أنتِ وما دونكِ النساءُ...

لكنّي عدت بعدها في نفس الفترة قائلا :

أصبحت ضيف الحزن في دار الجفا.. وقلبٌ حزينٌ يبكي تأسُّفا ..

وحاجٌ يسعى تضرّعا إلى حبيبٍ .. كسعي الحاجّ بين مروة والصفا..

كيف تنساني من بعد مودة.. كيف تأمر القلب أن يتوقّفا..

طبعا هذا لم يدم طويلا فلقد تزوجتها .. ولا زلت أكتب خواطري.. لكنّها لم تعد لطيفة، وأصبحت معقّده كثيرا.. أقصد الخواطر بطبيعة الحال ..

يؤثر الوقت في النآس فيتغيرون.. ولقد طلب منّي أحدهم أن أملا له الشيك.. فأمسكت قلمي ودوّنت له ما يريد.. وأنا أحاول بهدوء أن أعلّمه كي لا يحتاج لأحدٍ مستقبلا.. شكرني على حسن تربيتي وأخلاقي، ومدحني كثيرا.. لكنني أوقفته.. فالحساب ملكه

والمال ماله..ولم أفعل شيئا يستدعي كل هذا المدح ..أضف إلى أن اليوم هو يوم تقاضي الراتب، وخرجت من البيت وأنا أتلذذ طعم الفطائر الشهية التي أعدتها زوجتي.. ناهيك عن أنني أخذت إذن غياب عن العمل، للذهاب إلى البنك .. كل هذا جعلني هادئا وحنونا، ولو التقيت بي آخر أسبوع من شهر سبتمبر، لشاهدت الغول الذي في داخلي.. ففي هذا الوقت يصبح جميع الآباء أوغادا نتيجة الدخول المدرسي، الذي أصبح يتزامن مع موسم عيد الأضحى، وأعباء الاصطياف..

يظن البعض أن الزمن يؤثر على أجسامنا فقط ،أما الرّوح فتضلّ شابة دائما.. وهذا خطأ، وعن تجربة شخصية، لم أعد أعرف نفسي منذ توفى آبي رحمه الله ..

لا تحسبنّ أنّ الحزن دمع.. فالدمع في كل حال ينزلُ..
يبكي الشقيُّ إدبار حبيبه.. وتراه باكيا حينما يُقبِلُ..
إنّ الحزن ذبحٌ في الحشا.. وعيشٌ منه الموتُ أفضلُ..
ملأتَ حياتي حزنا يا أبي.. فليت الذي أماتك يقتلُ..

الطريق إلى السعادة

كثيرا ما قرأنا عن قصة الصيّاد الذي بالكاد يحصل على قوت يومه.. لكنه في الأخير وبطريقه غير واقعية يصبح غنيا..وغالبا ما يكون ذلك بفضل سذاجته.. وعلى الصيّاد قِسْ باقي الأعمال، خبّاز، فّلاح، راعي، الخ ..

هذه القصص صار الأطفال يملّون منها بسرعة.. ربّما لأنّهم في عصر التكنولوجيا أصبحوا أكثر فطنة، أو لأن الصيّاد والفلاّح والرّاعي .. لم يعودوا فقراء..

تعلّمنا في الصغر أنّ (مول النيّة يربح) وأنّ الخبيث سيقعُ في فخِ شروره.. كنّا نفرح بهزيمته.. وكنّا نميّزه دائما في أول القصة.. طبعا لأنه عدوّ الطيّب الساذج.. وكنا نكِنُّ له كرها شديدا.. لا لشيء، إلا لأنه كان يسخر منه..

تعلّمنا أيضا أن الذكاء والفطنة ومجالدة الحياة، أمر ثانوي.. المهم أن تكون طيّبا ..أمّا المكر و الخداع فصفتين مذمومتين، لا يجب الاقتراب منهما..

استوقفني مرة قوله تعالى:(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله تعالى: (والله خير الماكرين)..

فتنبّهت أنّ الخداع في غير موضع الائتمان، صفة مدح، ودليل على الفطنة.. كما أنّ المكر في محله، صفة كمال..

ولقد لخّص الفاروق هذا المعنى بقوله(لست بالخبِّ ولا الخبُّ يخدعني).

إنّ قصص الخيال تلك، تقابلها الحقيقة التي ستجعلك تُدركُ أنّ غير الطيّب، يكون دائما في صدارة المشهد.. إما سلبا وإما ايجابا..

الحياة لا تنهض إلا بهؤلاء الماكرين.. ولن تسمع أبدا عن رجل لا له، ولا عليه.. فإما أن يكون السيد فلان، أو المدعو علان.. وإن وجدت ذِكرا للساذج.. فاعلم انه حلقة من أجل إتمام القصة فقط..

جلست مع العم سعيد في صالون بيته، وهو يحاول أن يجد لنا فيلما نقضي به ما بقي من ساعات الاستيقاظ ..

في هذا الوقت المتأخر، كل القنوات تعرض أفلاما آو مسلسلات.. حتى قناة الجزيرة تبث ما تسمّيه أفلاما وثائقية..

لكن العم سعيد لا يزال يتنقل من قناة إلى أخرى، كأنه يريد أن يكون هو بطل الفيلم هذا اليوم.. نعم عند العم سعيد قصص كثيرة لا تنتهي...

افتتح حكايته قائلا: " لا تصدّق كلّ ما تشاهده.. إن كلّ هذه الروايات تبدوا جميلة لأن صنّاعها لم يحكوا الفصول الأخيرة

منها.."

أجبته في استغراب: " كيف ذلك أليست the end-- تعني النهاية؟ أم لك رأي آخر؟"

هذا ما كان ينتظره بشغف.. أن أطرح عليه سؤالا لينهمر بسيلٍ من الكلام..

-العم سعيد :" هيه لست أقصد هذا.. إسمع ..قصة الحبّ والخصام التي مدّتُها ساعة ونصف.. والتي أوهمونا أنها انتهت بلقاء الحبيبين، مع موسيقى حزينة.. هي في الحقيقة بداية لعمرٍ طويل من الأحزان.. وبدون موسيقى..

فبعد لقائهما، ستهجره حبيبته مرّات أخرى، كما هجرته في المرة الأولى..و هذا لن يُعرض على أية حال، لكي يبدو الفيلم رومانسيا.. ثم ستخونه وتدّمر قلبه .. فإعطاؤك فرصة ثانية لمن خانك مرة، كإعطائك المسدّس لمن فشل في قتلك باستعمال السكين.. ولكي يواجه كلّ هذا، سيرتمي هو في حضن أول فرصة تقدّمها له الحياة..

أمّا ذلك البطل الذي أنقذ حبيبته من قبضة العصابات.. وعندها انتهى الفيلم.. ستعرف لو أكملت القصة أنها ستعود إليه من جديد.. لكنها ستكتشف أنّ حبيبها لا يزال وغدا، وسيدمّر حياة ابنهما ...ولقد كانت العصابات أرحم بها من هذا الشقيّ.. "

(بعد الفاصل تشاهدون « The pursuit of Happyness »)..

قطع العم سعيد حديثه عندما سمع إسم الفيلم القادم " السّعي إلى السعادة "..

-العم سعيد : " إنّ هذا الفيلم يحكي قصة واقعية عن شاب أسود وصل إلى ما يريده بعد معاناة شديدة، أدرك حينها أنّ مواجهة الصعاب بفطنة، تجعل منه بطلا، وأنّ السّعي المتواصل ضروريّ للوصول إلى السعادة.. لقد نظّمت عديد من المدن الأمريكية عروضا مجانية للمتشرّدين من أجل مشاهدته، لمنحهم إلهاما وجرعة أمل تحسّن حياتهم البائسة.."

أخيرا سنتفرج على عرض الليلة.. لكنّي فهمت أنّ داخل كلّ قصة تسمعها، قصة أخرى.. وخلف كلّ نجاح يوجد تضحية..

من فقه الزواج

يتحدّث الناس عادة عن الأشياء التي يفتقدونها، ويغضّون الطرْف عن الأشياء التي امتلكوها، أو استغنوا عنها..

فمثلا، هم لا يكفّون عن الكلام عن غلاء الأسعار التي جعلَتهم يفتقدون أمورا لم تعد متاحة لهم ..كما أن تذكّر الزمن الجميل والأيام الخوالي، مجال خصب للحديث بالساعات، وتلذذ ما تبقى من المشاعر النبيلة والعلاقات المحترمة ..

بالمقابل نراهم توقّفوا مُؤخرا عن الحديث عما كانوا بالأمس القريب يعتقدون أهميته، واليوم أصبحوا في غنى عنه، كالحديث عن حرية المرأة الذي لم يعُد يتصدّر الأحداث، ولم يبقى في صالات المحاضرات سوى المناضلات.. أما المدعوّات فلقد تحررنَ حتى من حضور الملتقيات..

لكن ما حازني كثيرا، هو إغفال موضوع الزواج، رغم أن المهور والهدايا لا تزال غالية في ما أعلم.. وعدم طرح هذا الموضوع، لا يعني التمكّن منه بقدر ما يعني الإستغناء عنه، وعدم الإهتمام به...

وعلى ما أظن فإن سبب ذلك يكمنُ في سهولة التواصل بين الشباب الذي أورثهم الملل..لأن ما يسهُل إقتناؤه يرخص في عين

طالبِه، و صاحب النّعمة يجهلها..

أما مشقّة الوصول إلى الغاية، تزيد من جمالها و أهميّتها..

وقديما قيل : (كل ممنوع مرغوب)

كان الحبّ جميلا، ومع جمالِه، كان ذا عمر طويل ...أيام طوال يفكّر فيها العاشق بطريقة لجلب الإنتباه إليه. فحبيبته..لا تُظهر أيّ ملامح ..ولا تبوح بأيّ سر...كأنها من المخابرات الرّوسية.... مزيج بين الخجل والتردّد وقلّة الحيلة...وإذا اجتمعت هذه الصّفات في فتاة، فإنها تقلّص جميع فرص الإقتراب منها...بقدر ما تزيد من فرص التعلّق بها..لم يعد يرى العالم إلا في صورتها...ولقد وصفتُ حبيبتي يوما فقلت فيها:

" إذا مددت عيني حال حسنها ...فجميع النساء بحسنها حسناءُ... كأنّها الجمال بينهنّ مقسمٌ.... أو فاض حسنها فالتقطته النساءُ..."

بعد عذاب وطول انتظار..يلتقيان..لا يملكان غير نظرة وابتسامة، إقتسماها بينهما .. كأنّهما يوحيان للأقدار أنّهما قد اتّفقا على اقتسام كل ما يمتلكانه...لم يخطّطا لأيّ بداية ..كل شيء شفّاف بينهما ...هي الدنيا و ليس بعدها شيء...نعم لقد كان الحبّ جميلا ...او بالأحرى ..لقد كان الحب و لم يعد..

ثم أنظر اليوم، كيف أصبح سهلا دون مقابل..دون عناء.. بضغطة زر من هاتفه يسمعها و تسمعه.. بل يراها و تراه ..أف..

أين الشغف ..أين اللّهفة التي تنقُلك من مغنَم الحبّ، إلى مغنَمه ومغرَمه معاً .. تنقُلك من مجرد العشق، إلى العشق في كنف الزواج...!!!

صادفتُ أحد الطّلبة الذين درّستهم قديما رفقة زوجته، وطفلين كان ينطّان من حولهما .. إن الأطفال يفرحون بتواجدهم في السوبر ماركت، ذلك المكان الفسيح الذي يجعل الأزواج يظهرون بمظهرٍمحترم.. خاصة عندما يقفون في الطابور، وهم يجرّون العربات الحديدية الممتلئة بالمشتريات.. مع الحرص على وضع الكماليات والثمينات عاليا، حتى يراها كل من ينتظر دوره من أجل دفع ثمن تواجده هنا..

سلّم عليّ بلطف وأدب، ولم يكف عن مناداتي بأستاذي.. لكن ما أفرحني أكثر، هو أن زوجته كانت تدرس معه في نفس الصّف .. ما أجمل الحب والنهايات السعيدة..

بادرتني زوجته بالتحيّة واسترسلت في التبسّط معي بالحديث، كأنها تختبر غيرة زوجها، وتنتظر منه ردّة فعل .. مع إستعدادها لكل ذلك.. فهي من حين لآخر تنظر اليه نظرة التحدّي " إنه أستاذي أيضا ".. كما أنها لا تتوانى في شكره والإفتخار بتفانيه في حبّها وإخلاصه لها .. حتى أنها أحيانا تنزعج من ارتباكِه عندما يكلّم إمرأة غيرها !! وهو يوثّق كلامها هذا بطأطأة الرأس والابتسامة الخجولة..والإنقياد لكل ما تقوله و تفعله..

أظن أنها تبالغ في وصفها وتحاول تحسين صورة زوجها أمامي ..فلا يوجد بالتّأكيد زوج طيب، ساذج، و وفي كما تصف هي، وإلا لم يكن الكذب بين الأزواج مباحا!!!

أما إن كانت صادقة في مشاعرها ونظرتها إليه .. فإن الرجل هذا كذاب محترف ،لا يترك أثارا خلفه.. يا له من خبيث...

على كل حال فالأمر لا يعنيني... طيّب الله بينهما.. لكنّي لا أُخفي أنني أُعجبت بتوافقهما، الذي سببه الزوج بالتّأكيد ..سواءا أكان شهما نبيلا، أو ماكرا لئيما....

المهم أن وجوده مصدر لسعادتها ..ولكم التقيتُ بأزواج يحبّون بعضهم البعض.. لكن سعادة أحد الطّرفين تكمُن في عدم وجود الطّرف الآخر..

وصدق الرافعي حين قال: " قد يكون أقوى حب بين اثنين إذا تحابا ،هو أسخف زواج بينهما إذا تزوّجا".

الخوف من المجهول

الإنسان بطبعه يخاف من المجهول، وهو عدوّ له، والخوف حالة تنفرد بصاحبها وتجرّده من كل ما يكتسبه من صفات حتى من إنسانية، لذلك ترى يوم القيامة كل مرضعة تذهل عمّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، من الفزع والخوف، لشدة الموقف..

ولقد تفطّن الأوروبيون لهذا، فجعلوا قوام الحياة مبنيا على الأمن..

الأمن على المستقبل، والأمن على الوصول إلى النتائج اذا تحققت الأسباب، والأمن على عدم ضياع الحقوق، والأمن على المساواة في نيل الفرص، والأمن على توفير ضروريات الحياة... وغيرها.

هم ليسوا متطوّرين أو منظّمين، بل هم مطمئنون آمنون، ولو فقدوا الأمن، لأصبحوا أبشع مما نرى أنفسنا عليه.. فلا أعتقد أن أوروبيا سيتنحّى جانبا بشهامة لترك فتاة تمرّ قبله، ثم بعدها ينزل ببطء وتأنّي من سفينة تغرق وسط الأمواج...!!!

ولعل خير مثال ما شاهدناه في زمن كورونا، عندما اختلّ الأمن على المستقبل، وعلى توفّر مستلزمات الحياة.. وانتشرت حالة الخوف بعد إعلان الحجر الصحّي داخل المنازل.. حينها سقط

القناع عن قدوتنا في الحياة، واندهشنا عندما وجدنا الفوضى في اليابان، والمرضى يُرموْن على الأرض، وكذلك الحال في أوروبا وأمريكا .. حيث أصبحت المحلّات التجارية حلبات للمصارعة على رقائق البطاطا، والعجائن، بل على كل ما يمكن حملُه.

أين النظام !! أين وسامة البريطانية، وابتسامتها الأنيقة !! أين ذلك المثقّف الفرنسي !! لماذا يحمل سباغيتي بدل الكتب !! أين قوّة الأمريكي، الذي كنا نظنّه شجاعا .. حتى أصبحنا نربط الشجاعة بمضغ الأكل !!

لقد شاهدتُ في أحد فيديوهات اليوتيوب، أمرأتان تقتلان في بريطانيا، ورغم أنني لم أفهم الشتائم، ولا سبب القتال، لأنني لا أجيد الإنجليزية .. إلا أنني عرفت أن صاحبتا البشرة البيضاء، تقتتلان على ورق المرحاض، الذي تحمله إحداهما، وتريد الأخرى خطفه منها...!!

زرتُ مؤخرا أحد الأصدقاء في المستشفى .. تبسّم إلي عندما رآني واقفا عند مدخل الباب .. وكذلك فعلت .. ليس لأنني علمت أن عملية القولون نجحت والحمد لله، ولكن لأنني نجحت في مهمة البحث عنه، التي كانت شاقّة.. ففي كل غرفة، يوجد ثلاث أسِرّة، وحول كل سرير يوجد رَجُلان وأربع نساء، وأطفال، كلّهم يظهرون أنهم مرضى بأمراض مختلفة، رغم أنهم هُنا لزيارة المريض.. أحد الأطفال يوجد زُرقة حول عينيه، وبعض الدُم على جبهته، والآخر

أنفه يسيل، وهو يسعل، وفي فمه مصاصة الحلوى، يكاد يختنق بها، أما في الغرفة الأخرى بالقرب من المريض، عجوز على كرسي متحرّك، تجرّها ابنتها التي كانت تحمل رضيعا لا يتوقف عن الصراخ .. لقد تُهت وسط المرضى، ولم أعُد أعرف المريض من الزائر..

إقترب مني شاب يلبس مئزرا .. قد يكون طبيبا، أو ممرّضا، المُهم أني سألته عن صديقي، وأنه دخل إلى المستشفى منذ شهر، لكن موعد عمليّته كان بالأمس فقط ، ولا أعلم أين غرفته، بل إنّي خائف أن لا أتذكره .. ففي كل مرة كنت أزوره فيها..أجد أنّهم نقلوه إلى غرفة أخرى...و لا أعلم إن كان ذلك مراعاة لنظام المستشفى.. أو لتدهور حالته.. ..و لقد كان شكله يتغير قلقا، كلما تغيّرت غرفته...

أثناء حديثي مع الشاب صاحب المئزر.. وجدته كثير الإلتفات...خائفا يترقب...كأنه يريد فعل أمر خطير.. و بإنزعاج أخبرني أن أبحث عن صديقي لوحدي، و أن لا أسأل أحدا... لأنهم قد يطردونني إذا اكتشفوا أمري، فهذا الوقت ليس وقت زيارة ..

فتساءلت في نفسي... من هؤلاء الذين سيطردونني؟؟؟ و كيف يمكن أن يوجد كل هذا الخلق في غير وقت الزيارة !!

بعدها دخل الشاب حُجرة الراديو المجاورة.. و أدخل معه شخصا ثم أغلق الباب بسرعة..هل تستدعي كشوفات الراديو كل

هذ الهلع !! إنه أمر عجيب.. !!

المُهم أني وصلتُ إلى صديقي، و وجدته بخير، غير أنني لم أتمكن من مجالسته إلا قليلا، وخرجت من عنده وأنا أجزم أنه لا يوجد أتعس منه... المسكين لا يعلم شيئا عن مرضه، لم يتحدث معه أحد حول سبب الألم، أو تداعيات العملية ..هو خائف مما حدث، ومما قد يحدث، لأنه يجهل ما حدث، ولا يعلم ما قد يكون.. لكنّه متأكد أن كل شيء يقدر أن يقع لشخص مثله..

إن الإطمئنان والإستقرار لا يكون إلا عندما نتأكد أن الذي نخافه، مستحيل الوقوع، فنحن لا نخاف الأسد ونحن في غرفة نومنا، رغم أن الأسد مخيف، لكننا جميعا دون استثناء، نخاف على مستقبلنا، ومستقبل أبنائها، للسبب ذاته.. وعندما يزول الخوف، سنصبح أفضل من غيرنا، لأننا نمتلك ما لا يمتلكه غيرنا.. الثقة بالله.

حديث المشاعر

ذهبت لزيارة أحد الأقارب خارج المدينة ،ما اضطرني إلى المبيت عنده لليلة واحدة تريحني من مشقة السفر، وتكفيني لهفة الإشتياق إلى أسرتي ،رغم إلحاحِه عليّ بالمكوث عنده وقتا أطول..

عند عودتي إلى الديار، لم أخبر أحدا.. كي لا أحرق المفاجأة.. وقبل الوصول إلى المنزل، رُحت أتبضّع ما قد يُفرح العيال وأمّهم.. حتى هي، ورغم أنها تستطيع شراء ما تشتهي لوحدها، إلا أنّها ستُسّر بالإهتمام، أكثر من البضاعة نفسها.. وصدّقني، أنه حتى ولو كنت شيفا متمكّنا ،فإن حبّة البيض المقلية التي يُعدّها لك من تحب، يكون طعمها ألذّ وأشهى، وستستطيب مذاقها بمجرد تقديمها إليك..

مشيتُ وسط زحام المدينة وأنا أحاول أن أتذكر كيف كانت قبل أن أتركها.. صحيح أنها لم تتغير كثيرا، بل إنها لم تتغير بتاتا، لكنني شعرت أنني تركتها لوقت طويل، حتى ظننت أنني لن أجد بائع الجرائد.. وسيُقال لي أن الروبوتات حطّمت كُشكه الصغير.. وحوّلته إلى مركز لشحن بطارياتها..

الحمد لله ..العم مرزوق لا يزال حيّا خِلتُني سأجده ميّتا.. هو لا يزال متّكئا على عصاه، جالسا عند مدخل الحيّ.. إنه يعلم

بغيابي .. وإلى أين ذهبت.. إنه يعلم كل شاردة وواردة في الحيّ..

- " السلام عمي مرزوق"

-" السلام يا ولدي"

الحمد لله الكل بخير على ما يبدو، فالعم مرزوق لم يضف شيئا بعد السلام ..

دخلت إلى المنزل لكنني لم أجد أحدا.. فَرُحت أفتح الأكياس وأُرتّب المشتريات فوق الطاولة، وأتخيّل فرحة الأولاد التي لن يضاهيها إلا فرحتهم بوجودي معهم..

وعند رجوعهم إلى البيت أحسست بقشعريرة في جسدي وبدأت أفكّر أنّه ربما كان عليّ إخبارهم بعودتي.. قد تكون مفاجأة قويه عليهم ..نعم لن تتحمل قلوبهم المرهفة كل هذه السعادة حينما يرونني..

- " أولادي أهلا بكم.. تعالوا إلى حضن أبيكم.."

لقد كان اللّقاء عكس ما توقعت تماما..لكن على الأقل، توقف الصغير قليلا عند الطاولة.. وأخذ قطعة الشوكولاطة.. أما أخواته، فألقين عليّ تحيّة الأدب، واتجهت كل واحدة إلى غرفتها ..لن أفقد الأمل ..لن تخيّبني أول العنقود .. أنا متأكد أنها تحبّني بشدة..

أنا : " نهال .. اشتقت إليك.."

نهال : " ....."

أنا : " هل اشتقت اليّ يا بنيّتي..؟"

نهال : " لا "

حتى هذه " لا " المجحفة.. حاولت أن أستخرج منها ما قد يبّل ريقي..

أنا : " لا .. بشدة أم لا ..قليلا ؟؟!! " أعلم أن هذا السؤال يكون عندما تجيبني هي بنعم، لكنني حاولت أن أجد ما يجعل الإجابتين قريبتين من بعضهما، غير أنه في هذه المرة كانت نهال أكثر رفقا بي.. لذلك لم تجبني..!!

هل أذهب إلى أختها لأسألها..؟ هل سيكون حظي أحسن في هذه المرة..؟؟ لا لن أجازف.. فعبير أفصح من أختها في إبداء الرأي.. وسأكتفي أنّ بشرى الصغيرة تنظر إليّ بملامح بريئة، وسأفهم أنا هذه النظرات بأنها مشتاقة اليّ..

نعم .. حدث ما لم يكن في الحسبان.. هل فشلت في جعل أولادي يحبونني..؟ لقد كان النجاح هنا مهما جدا بالنسبة إلي.. آه.. إختلطت عليّ الحسابات .. وأنا أصلا أكره الحسابات... لأنها دقيقة وخالية من العاطفة.. وتعطي النتائج على قدر المعطيات، دون تملّق.. وأنا محتاج إلى من يواسي مشاعري، حتى ولو كذبا.. لا لن أكون دقيقا في تحليل الوضع ..حتما يوجد هناك شيء رائع لست أراه...

جلست في المقهى المجاورة لمنزل العم سعيد ..أنتظره.. فهذا الرجل الفيلسوف، بمقدوره أن يعكس الزوايا ويجعلك ترى نصف الكأس المملوء دون أن تتحسّر على نصفه الفارغ.. لم أمكث طويلا حتى جاء العم سعيد لمجالستي، وطلب من النّادل عدم مضايقتنا إلى حين نستدعيه..

-العم سعيد: " ما الخطب؟ أراك شاحب اللون.."

-أنا : " لقد فقدت الأمل ..حتى رؤية ذاك الصبي، وهو يطارد الحمام هناك، لم يعد يرق لي.. فأنا لم أنجح في جعل وجودي مهمّا لدى أطفالي.. لقد فشلت .."

تردد العم سعيد في إجابتي، فهو يعلم أن الكلام في هذه المواقف لا يهم بقدر إبداء الإهتمام والإنصات.. ولولا وجودنا في المقهى لهمّ العم سعيد ليحضنني..

- أنا : " هل ساءت أخلاقهم؟ أم ما الذي تغير فيهم ..؟ "

-العم سعيد : " لا يا ولدي.. كل ما في الأمر أن التّعبير عن مشاعرهم قد تغير .. والأخلاق كما تعلم تتغير بتغيُّر الطباع، وبمرور الزمن.. ألستَ تتذكر قديما .. كنّا نخجل من مشاهدة قناة " ال بي سي" في البيت هههه.." حاول أن يكون لطيفا معي، لكنني قاطعته قائلا :

- " أشد ما يخافه الحبيب .. هو لا مبالاة حبيبه.. وتأكيد أقاويل حاسديهم فيه.. فهم دائما يزعمون أن الذي بينهما مجرّد

وهم، لن يدوم طويلا "

- العم سعيد: " يا ولدي أنت تبالغ في وصفك.. وكما قلت لك.. إن الأخلاق تتغير بتغير الطباع ..وأنت تذكر معي حديث الصحابي الذي اشتكته زوجته إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يصلي حتى تطلع الشمس.. فأجابها الصحابي بأنهم أهل بيت قد عرف لهم ذلك و لا يستيقظون حتى تطلع الشمس، والرسول صلى الله عليه وسلم، يسمعه ولا ينهره على النوم عن الصلاة.. لأن ذلك كان طبعه، وملكته، واستيلاء عادته عليه.. أرأيت كيف تغير الطباع من المفاهيم؟ وقبل أن تحكم على أولادك، حاول معرفة عاداتهم في التعامل..."

واحد شاي بدون سكر من فضلك ..ثم استرسل العم سعيد قائلا :

- " إسمع.. لا تحكم عليهم بطبائعك أنت وطريقة تصرفك.. بل أنظر ما هم عليه، ثم قس على ذلك الحسن من السيء.. فمن المستحيل أن نتّهم الذئب بالوحشية لأنه يأكل النعاج، ثم نقول إن الفيل طيب ولطيف لأنه لا يفعل ذلك ..!! تذكر لا تحكم على أحد حتى تعرف طباعه وعاداته.. فلا الفيل طيب ولا الذئب متوحش..

حتى الكلب الذي نشهد له بالوفاء لصاحبه.. أدهشني مؤخرا رُأيَته يُباع ويُشترى .. بأثمان غالية، على حسب فصيلته.. فقلت في نفسي، كيف يتغير ولاؤه من صاحبه الذي باعه، إلى صاحبه الذي

اشتراه ؟.. ثم اتّهمته في وفائه ... لكنّي فهمت فيما بعد، بأن طبعه الوفاء لمن يطعمه.. وقديما قيل، اذا رأيت كلبك ينبح عليك فاعلم أنه يأكل من بيت آخر..“

لم يقنعني أسلوب العم سعيد، بل إنني ضجرت من كلامه.. ولقد فهم هو هذا، فقام دون أن يودّعني..

لو فعلها غيره، لحكمت عليه بقلة الأدب، لكنني أعرف طباع العم سعيد.. هو دائما ينسحب عندما يشعر أنه ثقيل الظل، ولا يحبّ أن يفرض نفسه على أحد..

لكن!! ...كيف غيّرتُ نظرتي تجاه هذا التصرف، لمجرّد أنه صدر من العم سعيد..؟ ربما لأنني أعلم طباعه..

آه.. لقد فهمت.. إنه تعمّد فعلته.. وجعلها درسا عمليا لي ..

نعم ربما عدتُ إلى المنزل أسرع من اللّازم.. أطفالي يشتاقون اليّ.. لكنّهم يحتاجون -وقد كبروا- إلى الإنفراد بأنفسهم أحيانا ..وأنا بطبيعة الحال، لا أترك لهم ذلك، لحبّي الشديد لهم.. نهال كبُرت..و هي تحتاج إلى مسافة تشعرها بالخصوصية.. وحتما إخوتها يقلّدونها بحكم أنها أكبرهم سنًّا.

تذّكرتُ أشياء كثيرة فعلَتها إبنتي حباّ لي .. لكنّي لن أُسرُدها هنا طبعا،إحتراما لخصوصياتها..

كان يسقيها

يسألني بعض القرّاء الأفاضل عن القصص التي أكتبها، و يجزمون أن كثيرا منها وقع فعلا.. إن لم يكن لهم، فلأُناس يعرفونهم.. وأنا أؤكّد هذا.. لأنّ الحوادث تتكرر، والتاريخ يعيد نفسه.. ولكي أكون صادقا معهم، فإن هذه القصص لم تحدُث كلها لي.. لكن هذا لا يمنع أنني شهدتها، ولقد قمت بتغييرٍ في بعض الشّخصيات كي أحافظ على خصوصيات أصحابها فقط .. بالإضافة إلى أنّ الشّخصيات البديلة، عزيزة على قلبي.. وأحببت أن تكون جزءا من كتاباتي.. نهال، عبير، بشرى، جواد.. هي أسماء حقيقية، لحبّ حقيقي..

قصة اليوم مختلفة تماما.. سأحاول من خلالها لَبس عباءة العم سعيد، لأتركه يرتاح قليلا، وأجلس عنده لسماع مشاغله، محاولا أن أجد سببا لشحوب لون وجهه، و هدوئه الذي يُخفي خلفه دروس السنين الطويلة.. وقبل أن أبدأ معه الإنترفيو.. طلبت منه أن يولّع سيجارة كما يفعل المفكّرون عادة، عند مقابلتهم..

العم سعيد لا يدخّن، ولا يحبّ حتى شمّ رائحته.. ودائما أراه ينصح المبتلين به على تركه.. ولقد أخبرني يوما أنه جرّبه مرة واحدة .. كان ذلك يوم طلاقه من زوجته.. وهو نادم عليها ..

-العم سعيد : " أنا بخير يا ولدي، وليس هناك ما يفيد من معرفة بعض التفاصيل عن حياتي.."

- أنا : " تكلّم يا عم ولا تخف.. لن يعلم أحد عن حياتك، فأنا لست كاتبا معروفا، وها أنا ذا كما ترى، قصصي بين رفوف المكتبات لا يقرأها أحد .."

-العم سعيد: " لا تيأس، ولا تتوقف عن الكتابة ..حلمك جميل.. وسلعتك غالية.. وسيأتي اليوم الذي يُكتشف فيه الكنز.. أما أنا فأفكاري بالية، ليس فيها متعة ..هل تظن أنّ مجنونا سيدفع ثمن قراءته لحكايات شيخ مثلي.."

- أنا: " تكلّم يا عم.. فسأوزّعها مجّانا لمن يقرؤها، وأضيف له قارورة عصير، حلو بارد، كي يتجرّعها على كل حال.. هههه..."

- العم سعيد: " كنتُ أعيش مع زوجتي في حال ليست سيّئة.. يزورنا الفرح تارة، ويغيب تارة أخرى .. لم أكن مثاليّا، ولا هي كانت.. لكنّي أُقسم لك أنّي كنت أحبّها حبّا، لا زال أثره باقيا في قلبي..

لم ينقصنا الحب، لكنّه لم يكن كافيا.. كانت حياتي القصيرة معها مليئة بالجدال.. أفكاري لم تكن مناسبة لها، أمّا أفكارها، فكانت مزيجا مختلطا لا أعلم كيف أمكَنها استيعابها.. كانت تأخذ عن كلّ الناس، وتتأثر بكل الأفكار.. ما عدى أفكاري.. كانت ترفضها، لا لشيء إلا لتظهر بمظهر النّد للنّد.. ولأكون صادقا معك، لم تكن هكذا دائما، فهي كانت تُجامل حتى خصومها، وتجد

لهم أعذارا.. وعندما سألتها عن السبب، أجابتني أنها تعمل بمبدأ (دارِهِم ما دُمتَ في دارِهِم، وأرضِهِم ما دُمتَ في أرضِهِم)..

أمّا أنا فهي صريحة معي، ومن شدّة أخلاقها، فهي لا تُجيز لنفسها مُداراتي، فأنا زوجها، ولا يجوز منافقتي..!!

لكنّها، وعند أوّل مشكلة تواجهها، تهرع إليّ، لأنها تعلم أنها ليست نِدّا لي.. تعلم أنّ الحلّ دائما عندي، فمشاكلها كلّها مجتمعة، ليست أقوى منّي ومن أحضاني...

أمّا أنا فأضع كلّ قوّتي.. وكلّ ما أملك، في سبيل تخليصها.. كأنني داخلٌ إلى معركتي الأخيرة، ولا يهمّ ما سأخسر، في سبيل أن أفوز..

هي تعلم كفاءتي، وتعلم الرّجُل الذي في داخلي، وتعلم أنّي أحبّها، وأظنّ أنّ تطلُّعها لتكون قويّة مثلي، وخبيرة مثلي، وعاشقة مثلي، جعلها تُسيء التصرّف..

إسمع يا ولدي، إن أكثر شيء يُفسد العلاقات، هو الطمع.. وإذا أردت أن تحافظ على من تُحب، فلا تطمع فيما عنده، ولا تطمع في أخذ أكثر مما يُعطيك.. جاريه ولا تُباريه..

والآن هذا أقصى ما يُمكن أن تعرفه عن حياتي.. لا تطمع بالمزيد.."

أوّل مرّة منذ عرفته، رأيت وجه العم سعيد على حقيقته، فدموعه غسلت الطّبقة الشّاحبة التي كانت تغطّيه. كانت أعينه

تفيض من الدمع، ويديه ترتجفان.. لم يكن ينظر اليّ.. بل كان موجّها بصره إلى ناحية أخرى.. كأنه لم يُرِد رؤية الصندوق الذي فتحه.. صندوق ذكرياته مع زوجته، التي لم يتزوج بعدها .. ولقد أخبرني أحد أصدقائه، أنه مكث في بيته شهورا بعد الطلاق، لا يكلّم أحدا.. ولم يخرج من داره إلاّ عندما علِم أنّها أُصيبت في حادث مرور.. حينها خرج فزعا واتّصل بكلّ من يعرفه في المستشفى.. وعند وصوله إليها، أصرّ أن تُعالَج في عيادة خاصّة على نفقته.. نعم كان كأنّه يقود معركته الأخيرة ، و كعادته لا يهمّه ما قد يخسر في سبيل أن يفوز.

{ما ألأَمَ الشجرة التي لو نطقتْ لشتَمتْ من يسقيها} مصطفى صادق الرافعي.

خواطر

أجمل خلق الله كلّهمُ.. حتى صار القضا بك متّهمُ ..
جُمع الحسن في عينيك رحمة، فكأنّما الخلق دونكِ ما رُحموا..
علوتِ النّساء فليست تُلام، حاسدة لك وجهها يبتسمُ..
أنت السماء أنت الصفاء أنت شمس وما حولك ظُلمُ..
أنت العفاف والطّهر في زمن، صار الحسن من الحياء ينتقمُ..
يا من لها سجد القلب طاعة، تسابيحه الحبّ ووجهها الحرمُ..
ناديت باسمكِ في الورى سائلا، يا بنت الملوك قد عذّب الخدمُ..
مدّي إلينا يدا نقبّلها، لطالما قُبّلت من قبلها قدمُ..
أو نظرة منكِ تشفقين بها أو ضحكة هي الفضل والكرمُ..
ملأت يدي كأس العشق أشربها، فسال دمع من أعيني ودمُ...
والنّفس من سكرة الحبّ في ولهٍ والرّوح فيها بالأشواق ترتطمُ..
وما بي من عشق تحمّلته، تضيق به ولو تجمّعت أممُ...
رحماك من العذاب فإني، عاشق من حبّك لا أسأمُ..
إن عشت كنت لك خليلا، وإن متّ فسلام على من ظلموا...

أعلم أنّكِ مرجعُ الجمال وبأنّكِ الأصلُ..
وأعلم أنّ انجذابي إليك سهلُ..
وأعلم انّكِ لغز حياتي.. فأنتِ مشكلتي وأنتِ الحلُّ..
وأعلم أنّي إن متُّ.. فلن أبالي.. لأنّي أُعطيتُ الجنّة من قبلُ...
يا من أعلم أنّي اعشقها جهرا وأهيمُ بها حين يجنُّ الليلُ..
أعلم..
أعلم انّكِ سيّدتي وبأنّكِ في الكلِّ.. الكلُّ..
وسكوتي حين أراكِ فلأنّ موازيني تختلُّ..
ونقطة ضعفي أنّي رَجلٌ قلبي طفلُ..
وحياتي معلّقة بين الشّفتين ..وخيوط دماغي تتلاشى حين تمرّين فأختلُّ..
وأمنيتي أنّي حين تصافحني يدكِ أمسكها وأشلُّ..
وأنام على ظهري بين الرّمل ..وأحلم انّكِ أنت الرّملُ..
وأصنع من بسماتكِ كعكة عيدٍ.. وأمزجها ببعض لُعابكِ كي تحلو..
يا امراة تمشي بلا ظلٍ.. فكيف يكون لحُسنِ قوامكٍ ظلُّ..
لا تنظري إلى مرآتك.. لا تنظري إلى مرآتك.. فلقد عجزت أن يكون لوجهكِ مثلُ..

داريتُ و ما انتفعتُ بأن أُداري...حبيبةٌ مات حبُها لي بجواري
جفّت مشاعرها عبثا و تبعثرت...فأخذتْ عن الحاسدين لي أَخباري
رسمت حياتي صورةً فلما كمُلت...قذفَتها بين صبيانٍ و جواري
فما قدروا رسمها وما عرفوا ...أنّ حياتي ليست لعبةً لصغارِ
أليست تعلم أني والله أصُدقُها... و ليس في قلبي مكان لأسرار
وما سطر في كتابي إلا كرّرته..حتى كادت أن تملّ من تكراري
و كل أنفاسي تعلمُها وتعلم ... أني أُدَندن حولها بأفكاري
لم يكن حبي يوما بضاعةً ... ولم يكن قلبي بعدها للإيجارِ
إن عابني حاسدي فلا عجَبَ...و لكن من قرّة عيني و قراري
و من التي سّرها دمعي و بكائي..و ما همّها جرحي واحتضاري
كأنّ قتلي صار عندها مَزحةً..تتسلى بقلبي و تلهو بأعماري
و تميل بي جوْرا بغير اهتمامٍ حيث كيد الحاقدين هناك بانتظاري
ما همّها حبيب كابد عشقها...لا ولا همّها صبري و إصراري
و ما داواها طبيب جئت به... ولا انتفعت بحديثٍ في البخاري
أقفلتِ باب الرجا بأصابِع ...لطالما عزفتِ بها على أوتاري
و تلك الجوارح كيف أمسكِتها ...و من أين أتيتِ بذاك الغبار
نبرات صوتك تِعلوا مخاطِبتي... كأني أصمٌ أو على بعد أمتارِ
وجهكِ العبوس .. لا بأس طهورا...كان حلوا و مدْجى بأستارِ

غيّرك الحاسدون فصرتِ طُعما..و أغروك زورا بحبٍ الإنتصارِ
إن كنت تدرين فعارُ جريمتك... أن تفسدي لأجل معلّقةِ جداري
و إن كنت لا تدرين فقبحٌ جهلكِ... و عار عليّ إلصاقكِ بالعارِ

وداعا حبيبي وداعا آخر الوداعِ ...ما بالقلب باقٍ أتركه لا تحمله مع المتاعِ..

لا تبكي أمامي لا.. فإني ضعيف لا تبكي لا داعي..

لا تلتفت خلفك فإني أبكي... ودموعي أحملها على ذراعي..

يا أغلى من ضحكت له شفتاي.. وطابت به أوجاعي .. وداعا آخر الوداعِ..

وداعا وبعدكَ .. لست أدري ما بعدكَ ..لكني أعلم أني سأبكيكَ بلا انقطاعِ..

أعلم أنكَ إن غبتَ عنّي.. فانك حيّ بقلبي وروحي وذاكرتي ولمساتي وطباعي..

يا من صرخت وجعا لفقده.. فخشع الكون لسماعي..

وداعا آخر الوداعِ

أنت الذي ملكت أحاسيسه قلبي.. ولست أدري أحبٌ هذا أم هو أعظمُ..

ما كنت حياً قبل أن تهواك نفسي .. وقبل أن تسودني وحبّك يحكمُ..

يسرُّ قلبي أنك وحدك مالكي.. ومن يملكه كريم يعزُّ ويكرمُ..

رضيتُ بحبك يا حبيبي وإنّي.. أراك غدا معي وإن غدا قادمُ..

تالله ما أريد إلاّ عيشا قربك.. وإن عشتُ فانّي إذا لك خادمُ

كلّ تجمّل للنساء ادّعاءُ.. وكلّ جمال خلا حسنكِ افتراءُ..
ملكتِ بهاء الكون في وجهكِ.. فما بقي لما سواك بهاءُ..
عشقتك بالفؤاد فظلمته.. إذ حسدته فيك روحي والأعضاءُ..
خمسُ سنين حفرت في جسدي.. فسالت أشواق أصلها دماءُ..
فمشيتُ بين الناس بلا عقل.. منهم رحيم وكثير أساءوا..
ألا إن حبّي عفيف طاهر.. وشعري نقي لم يسبقه ابتداءُ..
وإني في هواك مثل الذي.. تاه في الأرض فالتقطته السماءُ..
وإن لك في هوايا منزلةً.. أعلاها أنت وما دونك النساءُ..
جعلتُ تحت قدميك رقابهنّ.. وخيرهنّ من داسها الحذاءُ..
كفاني من رحمة ربّي أنني..عبد له وحبيبتي الحسناءُ..
ربّي لا تحييني بغير حبيبتي.. فذاكَ بلاء ما بعده بلاءُ..
وبعد خمسٍ ستّون حجة.. وبعدها بفضلك جنة ورخاءُ

لو كنتِ تريدين موطنا فاسكنيني على الرحبِ..
لو كنت تريدين ضوءا دافئا جميلا فأشعلي قلبي..
لو كنت متعبة، فرّشي أعيني ونامي بقربي..
لو كنت ضمآنة قومي بسكبي وتهيّئي لشربي ..
فأنا سلسبيل من بحرك العذبِ..
عيشي بي.. لا تتركيني يامن قدرت على سلبي..
أحبكِ حتى ولو هجرت حبي..
أحبك و أهديك أن تتحكمي في مصيري وأن ترسمي غيبي..
فألقي بي في اليمّ.. واتركيني بأيّ قطبِ..
واطلبي ما تشتهين فإنّي سأُلبّي..
أطلبي لبن العصفور واغمضي عينيك لحظة ثم افتحيها، تجدين لبن العصفور وحتى العصفور وكلّ السّربِ ...أحبك وربّي أحبك وربّي

عذرا حبيبتي آسف على كل ما جرى..
ما كان منّي بعض الهوى وغيرة في القلب مبعثره..
عذرا حبيبتي أرجوك تقبّلي المعذره..
يدي دامية و بين أصابعي قلبي يرجو المغفره..
عانقي ضعفي إرحمي غيرتي، سامحيني فإنّها المرة الآخره..
واعطني يدك كي أقبّلها و أسلمها القلب و المشاعرَ
عذرا حبيبتي أرجوك تقبّلي المعذره

أحبّ النّاس إلى قلبي خليلي..

لا تحزن فإني قد اعتدت على الرحيلِ..

لا تأبه، قلبي لم تعد تهمّه لطمة على الخدّ ودمع عين على المنديلِ..

خليلي.. خليلي.. تسلّى بمشاعري، تأرجح على أحاسيسي، ونم على لهفتي عليك، ستحميك من شمس المقيلِ..

وتغطّى بي في البرد تحت الأمطار، أعلم أنه سيرضيك تبليلي..

واتركني لوحدي لا، لا، لا تجري لن ألحق بك لا فأنت تجيد تضليلي.. خليلي، خليلي، خليلي

لو أدري من أين الهوى ينبعُ..
لو أدري لماذا يملكنا فنخضعُ..
لو أدري لماذا يقتلنا يعذبّنا ونحسبُ أننا نتمتعُ..
ليتني أكون بسمة عشق وقبلة بين الشفاه تتسكّعُ..
ليتني أدخل عالم القلوب فأحرق الحبّ فيها وأضربه بدمعي فيصرعُ..
ليت قلبي لي يشفعُ..
ليتني أدخله ومن عليه يديك أرفعُ..
ليتك تتركيني، ليتك تتركيني، عودي إلي إني موجعُ..
واحضنيني ودعيني لحظة من ثدي الهوى أرضعُ..
لو أدري من أين الهوى ينبعُ.. لو أدري كيف بقلبي أصنعُ..
لو أدري لماذا يفارقنا الحبيب، تاركا منديله الأسود ساقطا يودّعُ..
فتواسينا الدموع، لا تبكوا غدا أو بعده يعود ويرجعُ..
لكنّها هي الأخرى تسيل، وتتوارى في ظلام المنديل، وتشدّ الرحيل، وتغيب ضاحكة بالبديل، وتتركنا وتخدعُ..
لو أمسك الحبّ لأقتلنّه، ليشفى قلبي المشتعل المولعُ..
فلم أجد دواءا لنسيانه، وما من طبيب قد ينفعُ..
أبكاني، أبلاني، شتتني وليت حبيبي يجمعُ..
لو أدري من أين الهوى ينبعُ.. لو أدري كيف بقلبي أصنعُ...

أصبحت ضيف الحزن في دار الجفا.. وقلب حزين يبكي تأسفا..
وحاج يسعى تضرعا الى حبيب، كسعي الحاجّ بين مروة والصفا..
يدعو إلى قلب طال انتظاره، وحب حينما قبلته اختفى..
كيف تنساني من بعد مودة، كيف تأمر القلب أن يتوقفا..
كيف أنساك وحبك شيّق، وسريري اليوم قد ألف الدفا..
والفرحة مثل طفل، يعدو إلى عمر شقي دون أن يعرفا..
أعطاني حبك ما كنت أشتهي، ما استطعت أن أستوعب الموقفا..
عد إلي حبيبي فإني متشوق، وائذن لي تراني آتيك زاحفا..
ما ظننت يوما أن أكتب أسطرا أدعوك فيها حبيبي أن تعطفا...
تذكّر ولو لحظة من عمرنا، وانسى الوداع أرجوك كفى..

سألت حبيبتي كم حبّك لي قالت..
سنينا كثيرة توالت.. وليال بالدمع البريء سالت.. وغيرة كانت ولا زالت..
حبيبي، نظرة من عينيك أشواق في سمائي تعالت..
وقف في مجرى دمي، وإحساسات حبّ بالنّفس صالت وجالت..
حبيبي هواك دمّرني وطريق أشواقك طالت..
رحماك حبيبي فأنت أنوار قلبي التي حيثما مِلت مالت..
سألت حبيبتي يوما فقالت..

أحبك ولك حياتي الجميلة كلّها، يا من تسكنين روحي وقلبي ودمي..
يا من حين أحببتك ملكت الدنيا، وصار أهلها جميعهم خدمي..
يا من إذا صرت لي زوجا طاهرا، عانقت الحياة، وقبّلتها فما لفمِ..
أقسم أنّي في هواك مغرم، يا أجمل أجمل أجمل من عجرمِ..
أقسم بالله ولو جاز بغيره قسم، لكان بك وبحسنك قسمي..
يا أطيب من عطر الورود ويا أجمل من قمر بين الأنجمِ..
يا أميرة حلُمت يوما بلقائها، وها أنا ذا اليوم في حضنها أرتمي..
وعد عليّ أن تكون حياتنا هَنا، والوعد دين في ذمة المسلمِ..

لم يعرف الحبّ سِوانا ولن يعرفا.. كيف والحُبّ بيني وبينكَ نُصِّفا..
بلاني بسُهد ليل نمتَه، هو واحد لكن أمره اختلفا..
ما للزمان يغار من عشق الصّبا وهو الذي أبلى السنين وما اكتفى..
وليس يشيب إلا ذو سواد مظلم، على منّا فتكشّفا ..
وليس يُفطم قلب عن خضوع للغواني سمّيناه الوفا...
يلومني حاسدي من طول اللُّقى ولو شهد اللّقى لتعفّفا..
سلام ليس بعده سلام، وثالثنا شيطان قلبه صفا..
وعين جزرتها عن البكى خشية فتلاحق دمعها فتكثفا..
يخاف القلب بعد الفراق حسرة، ولقد كان حينما أحببتك خائفا..
أراد غيرك حبّه فمنعتُه وأراد اللّحاق بك فتخلّفا ..
حبّك في قلبي عبادة، كأنّ فؤادي بذكركَ كلّفا ..
كم من طريق مشيناه تخفيا، لكنّ الذي بيني وبينكَ ما خفى..
تعانقت يدانا والروح واحد وجسمانا من الإشتياق تلهفا..
أعطاك الله من الجمال فحُزتَه كما أعطى من قبلُ شطره يوسفا..
تهواكَ نفسي وقلبي عفيف، لو كان في الفردوس لتصوّفا ..
هذا عهدي صبر على الهوى وقصدي صبر على من جفى

أحبك يا حياتي أنت مولاتي فلذة كبدي قلبي فيكِ أسيرُ..
لن أرض بديلا لكِ.. أحبك وحدكِ أنت حبّي الأول والأخيرُ..
أنت .. أنت لولاك ما كنت ولن أكون بين يديك المصيرُ ..
يا حبي الأول والأخيرُ ..
لو جاءوني بحسناء عيونها ورد فمُها شهد، دمع عيناها ذهب وحريرُ ..
ضفائر شعرها عصافيرُ ..
لو أسكنوها بقلبي.. لما أنستني حبي، من أقنعتني أن المرأة مالكة..
أن المرأة أمر خطيرُ.. فلا تلوميني يا لذيذتي إن شنقت نفسي لأجلك
،وسرّني الإنتحار آلاف المرّات وأسعدني الموت الكثيرُ ..
ولا تسأليني لم هذا الجنون، فليس عندي تفسيرُ..
فانا أحبك فقط أحبك حياتي.

ليس بعدكِ لي من الدّنيا رجا.. فالنّفس بألف خير والقلب نجا..
والحلم بعد المحال تحقق، حينما اتخذت حبكِ منهجا..
منكِ فيض من العطاء نهالُ، نور على نور توهّجا..
زبرجد ورفرف خضر، خلق من الجنّات تخرّجا ..
فكأنّها في ضيائها شمس، وما حولها ظلمات ودُجى ..
أفالحسن يُبهرني أم أصله، وكل أمر من أصله نتجا ..
أميرة شقّت عليّ إمرتها، لم يجعل الله في خلقها عِوجا ..
مذنب وإن أطاعها قلبي، رحيمة إن مال أو عرجا ..
خير بعضه من بعض، ببعضٍ من الأنوار امتزجا ..

يلومونني إذ جُننتُ بحبّ حبيبتي، ويا ليت وصف ما فيها ممكنُ..
أربعة بها تولّع القلب، حسبٌ، مال، حُسن، وتديّن..
بإحداها تُنكح النّساء فكيف، اذا اجتمعت في حبيبتي المحاسنُ..

إلى ما الفراق الحزين يا حبيبتي إلى ما..
وذاك الوداع اللّعين والدموع اليتامى..
خَلّفتِ قلبا نائما على فراش الحب، ما تعوّد النهوض دون قُبلة وابتسامه..
خَلّفتني منزعجا من فراغ حولي، و حبّ أطفأ النور لكي ينامَ..
وشِلّة غيرةٍ تسقيني الدموع، وتلحس من دمي الحب والأحلامَ..
حُب جميل رائع مدلّل، ما دُمت أنت لا، وما داما..
ولكم طلبتُ من قلبي نسيانك، وأنا كنتُ أكثر من قلبي هياما..
ولطالما لُمتُ على ارتعاشة، كلّما خُيل لي وجهكِ يُلقي السلامَ..
بأيّ عذر تركتِ عاشقا ولهانا، وقلبا في البُعد يحسِب الأيامَ ..
أيا قلب قد بكينا فرحا بلقائها، فتعال اليوم معا نبكي الخصامَ..
غالية فقدناها وحب وحنان ونظرة من عينيها تمسح الآلامَ..
إبك يا قلب فإنك سوف لن تر، بعد اليوم حبيبتي تمشي الأمام.

أجمل من تغريد عصفور و وقع المطرْ.. أجمل من ضحكة طفل أو أحلى خبزْ..

أحلى من فرحة العروس في ليلة جميلة، يشتاقها كل البشرْ..

صوتكِ حبيبتي أحلى من كل حلو، يا أُمّ قلبي، يا قطعة من قمرْ..

يا من حين تناديني وكأنك تعزفين لحنا وترسمين أحلى صورْ..

وكأنك تكتبين شعرا رقيقا عن حبٍ بيننا عن أحلى قدرْ..

أميرتي يا حبة الروح، يا أعلى ما في القلب يا نور البصرْ..

يا من إذا قلت لي حبيبي، سجد فؤادي وشكرْ..

أيكفيك كل يوم قُبلة على يدك، أيكفيك إنحناءة رأسي لك،
أيكفيك أنني عاهدت نفسي أن أكون لك مطيعا...
أيكفيك أن أقوم مسرعا كل ما رأيتك كي أحضّر ما تشتهين،
أيكفيك أنني ربطت قلبي بالقرب منك كي لا يتوه عنك أو يضيعا...
أيكفيك أن أموت إن شئت، وأحيا إن شئت، أيكفيك أن أذهب
حيث تشائين، وأعود متى تشائين، حاملا بين يدي ورودا وربيعا ..
أيكفيك أن أجمع كل جميل لك، أيكفيك أنني أحبك، أيكفيك حبي
لك، ألا يكفيك كل هذا جميعا..

إن غبت أياما، إن غبت سنينا، إن شاء بعدك أن يطولا..
إن أقفلت أبوابنا، إن أبيت لقاءنا، إن كان ميعادنا مجهولا.. فإنّ
حبك يا حبيبتي في قلبي ولن يزولا..
إن أنساك البعد حضني، إن أتعبكِ المجيء عندي، إن تُهتِ عنّي أو
لم تستطيعي الوصولا.. فإنّ حبك يا حبيبتي في قلبي ولن يزولا..
إن ضاعت سنين هوانا، إن نسيت كلامنا وأحلامنا، إن لم يكن
حبي لك معقولا..
فانّ حبك يا حبيبتي في قلبي ولن يزولا..
إن رفضت رجوعي بين يديك إن حيّرك قدومي إليك، إن نام حبك
لي أو مات مقتولا..
فإنّ حبك يا حبيبتي في قلبي انا ولن يزولا..

أبعد عام من الخير زدت خيرا.. أم لك في حسن الأقدار أمرا ..
أم أنت حور، أم أنت روْح وريحان زادك الله قدرا..
ملّكتك نفسي وأسرت قلبي، فأصبحت إذ أحببتكِ حرّا..
يا من وهبتني الأفراح مرسلة، وكنت لي بعد العسر يسرا..
وأحسنت لي إذ رضيت حبي، وكنت لعيوبي كلها سترا..
فصرت كل ما اقترفت ذنبا، كنت أنت للذنوب عُذرا..
نور وجهك ليس يفارقني، وعشقي لك لم يعد سّرا ..
وكيف أكتم حبا جمّلني، وجعل لي بين الناس ذِكرا..
حتى إذا تذكّرتك في خُلوتي، زادت نفسي علُوا وفخرا..
فهممت بالتّرفّع لكن نفسي زكية، لا تحمل الكبرا ..
يا أعظم مُلك في الوجود، ويا هبة الرحمن لي وبشرى..

ماذا تظنين العشق يا أغلى الناس عندي، ماذا تظنين حب الإدمانِ..

ماذا تظنين الشوق والأماني..

أكلام جميل نقوله، ودمع بريء نسيله، وابتسام عريض نرسمه على الشّفتانِ ..

ماذا تظنين، أشوق غزير من سماء الأحزانِ ..

أبحر عظيم يركبه الحبيبانِ ..

بلا سفينة بلا قبطانِ ..

وحيدانِ ..

وفي عتمه ليل، في أمطار وإعصار وطوفانِ ..

يهيج البحر، فيضيع الحبيب ويركب بحرا ثاني..

ماذا تظنين يا نيّفتي يا رُود، يا من قلَبتْ كياني..

يا نواة قلبي، وبؤرة عيني، يا من صرتُ في حبكِ أناني ..

ماذا تظنين الهيام، أرحيل دون إتيانِ ..

أإشراك بالوفاء والإخلاص والحنانِ ..

أتصوّف للحبيب دون إيمانِ.. أحب بلا مجازفة، وحرب بلا دخانِ ..

ماذا تظنين يا مشوقتي وجاعلة قلبي حزينا بلا ألوانِ ..

يا قمرا جميلا بعيدا بعيدا، وحبا عذّبني وأبكاني.. ماذا تظنين..

طفل صغير، ضعيف أمامكِ، خاتم بين أصابع يدك، أنا ولن أتغيرْ..

لكم أحببتني، وقلبك أجمل من أن يحبّني، سامحتني لمرّات أجل أتذكرْ..

سافرتِ معي، وكنت تستطيعين أن تسافري دوني، لا تتركيني، فأنا طفل صبيّ، لا بل أصغرْ..

أحبك، أحبك ولن أعيش من دونك، حبك في قلبي، بل في كلّي انتشرْ..

أنا ولن أتغيرْ..

قالوا لها قد أسأتِ الإختيارَ، لم تحلّلي لم تفكّري، واتخذتِ قرارا..
كان أمامكِ الدرب سهلا، وعشب أخضر وزهر قرمزي، لكنكِ أردت الإبحارَ..
ورأيتِ عند الشاطئ نساءا قتلى وأخريات حبالى وهنّ عذارى..
وحسبتِ التي غطّت نفسها بالرّمال تداوي.. آه لقد كانت تخبّئ العارَ..
قالوا لها إن الحب نار، ولن تتحملي النارَ..
وإن اشتكيتِ يوما ضحكنا عليك تارة ووبخناك تاره.. وأعددنا لكِ الإنتحارَ..
وقلنا لكِ إنك قد أسأتِ الإختيارَ..
فتبسّمت وقالت لهم أنصتوا فإن حبيبي يعزف أوتارا ..
إسمعوا إلى الموسيقى، لا تشوّشوا بأصواتكم نغمَ القيتاره..
دعوا يدي، هذا حبيبي يريد الرقص معي، لا لا أريد استشاره..
فعطره الخلاب يسحرني، لو لم تخالطه منكم رائحة السيجاره..
وانظروا إلى جمال البحر إذا هدأت ريحه، واشرقت شمسه نهارا..
واتركوني فإن ذاك روحي وحبيبي، وقد فضّ غشاء البكاره..

صرخة سمع الكون لها صدى.. وأبى التاريخ إلا أن يشهدا..
نوفمبر حياة الرّجال، وإن كان اسم من عاش فيكَ استشهدا..
عشقت بسالة الرّجال سلاحهم، فاتّخذت لها نوفمبر موعدا ..
لقاء فرصاص وبارود، وحب للأوطان قهر العِدا ..
وعدو من شدة القتل فيه، كادت ذكورته أن توأدى..
وخافت نساؤه الحبْل لوعة، وأبى الجنين جبنا أن يولدا..
والله مدّنا عونا من السما، جنودا منه ونصرا مؤيّدا ..
فكاد لتسبيح الجبال أن يسبّحا، وكاد من هوله أن يُوَحّدا..
نوفمبر عشت، وعاش الرجال، وعاشت نساء الجزائر أبدا..
لولا ك ما تمّ للجزائر نورها، وما كمُل الخير وما ابتدا..
أنت الشمس علت بضيائها، أنت الأمس واليوم وباقٍ غدا..

وداعا قُلتها من غير قصدِ.. فأنتِ تدرين ما قدرُك عندي..
غيرة في قلبي أطفأتني، شتتتني تركتني لوحدي..
فهل تلومينني على خطإٍ، وتجعلينني في ريح وبردِ..
وتتركينني على الرصيف أبكي، وترمينني بمطر ورعدِ..
قلبي صبيّ لا تؤاخذيه، وتقبّلي يا معشوقتي وردي..
أنت سيدة الهوى يا حياتي، أرجوك لا تأمري بطردي..
سامحي هذا الطفل الصغير الذي طاح من على المهدِ..
و ضعيه في دفئ أحضانك، ولا تضعي أحدا بعدي..
يا حبيبتي يا سيدتي يا قُبلة على شفتي وخدي..

أجل سنبقى أصدقاءْ.. أبقى رغم مُرّ البقاءْ.. أبكي كلما تذكرتك أبدا ما نسيتك، ناديتك باسم الوفاءْ... بأغلى الأسماءْ....

حبيبتي روحي أبهى من أنجبت حواءْ.. أرجو اللقاءْ.. متى اللقاءْ.. ناديتك فما أجبت النداءْ.. أحببتِ أن نبقى أصدقاءْ.. أحبيبتي سنبقى أصدقاءْ..

أبدا لن أنساك يا حسناءْ.. سأحط الورود فوق سريرك ككل مساءْ.. سأعانق الوسادة البيضاءْ.. والأحلامَ الحمراءْ..

سأحضن الهدايا والناي واللحن الحزين والغناءْ.. أُقبّل دميتك و أحكي لها عنك يا عذب النساءْ..

عن شفتيك، عن بسمتك الملساءْ.. عن جناحاتك وغيومك وشموسك في فصل الشتاءْ.. وعنّي في حرّ صحراءْ أطلبُ ماءا فلا تعطينني ماءْ.. تتركينني معلّقا بين الأرض والسماءْ..

بين الأحلام.. تقولين سنكون يوما أحبّاءْ.. بل نحن أصدقاءْ.. وغدا سيكفّ قلبي عن البكاءْ.. وتجفّ نفسي من دموعي وأحزاني وتنسى المشاعر العمياءْ.. وتموت زهور اقتطفتها من بين كل الأصدقاءْ..

أحبك صديقتي يا احلى الأصدقاءْ..

إطفئ النور يا صغيري ونمْ.. لا تنزعج من سرير ممزق وغبار على الوسادة البيضاء وشيخ أسود عليها يضع القدمْ.. نم بهدوء نمْ.. لا تلعن ذوي الرصاص يا عمر، لا، لا تخرج إن كل من خرج انهزمْ.. إبق على السرير ونمْ..

فغدا تنهض باكرا كي تُنزل العلمْ.. نمْ يا صغيري نمْ..

حانت صلاة الفجر يا عمر، فهل تصلي أم تبكي ندمْ..

أين تصلي وأنت خائف أن تصلي، والمسجد محروق والمنبر انهدمْ..

ويحك يا قزمْ.. أمٌ تناديك وقد نازعت الألمْ..

أخرج يا عمر، ذاك رجل مدّ عليها يده وابتسمْ..

خد سيفك خد سلاحك، ردّ للبيت سقفا ولله حرمْ..

خذ خنجرا بين يديك وتقدّمْ.. فغدا تصلي أين صلى الحبيب وسلّمْ..

يا ابن العمْ، يا ابن العمْ.. قمْ يا ابن العمْ.. يا ابن القدس يا شامخ المجد يا مُحترمْ لا تنم يا مسلم ولا تنمْ..

أنساكِ تطلبين أن أنساكِ أهذا جنون منكِ أم غرورْ.. تطلبين أن أبدأ الرّحيل الجوّ ماطر لن أستطيع الرّحيل والرّيح تخنق من يريد المرورْ ..

لا لن أستطيع المرورْ.. قميصي الأبيض الجميل تبلل، سقط على التراب بين الصخورْ.. وسقطت على ركبتاي، أتركيني، لا تحمليني، الطين على وجهي أحلى من تلك العطورْ..

أتركي صورتي، أتركي دميتي، فمصيرها مصيري وقدري المقدورْ.. أتركيني و ودّعيني من خلف النافذة، لكن لا تخرّبي عشّ الحمام، ولا تطردي العصفورْ..

ودّعيني وخبّئي وجهك خلف قميصي المنشورْ..

أنساك!! سأنساكِ، لكن قطعة السكر في فمي تذكرني قُبلة تحت جدار الحديقة المكسورْ..

والعشب الأخضر تحت قدمي كان وسادتي كنتِ حبيبتي، كنتُ في حبّك مسرورْ..

كنتُ في حبّكِ جنينا، عشته بعض الليالي والشهورْ..

لكنّه أجهضني قبل أن أكون، أو يكون لي ظهورْ..

قبل أن يُكتب لي أن أعيش به سعيدا، أو شقيا، أو يتيما، أو وحيدا مهجورْ..

وكم حزين اغن أكون وحيدا مهجورْ...

من القلب أرجو عفوكِ عنّي يا أمي، عن ساعة فاتت لم أنل منكِ رضا..

لكِ النفس تنحني والوجه في التراب، أرجوكِ أن تغفري لي ما قد مضى..

إن شئتِ أن أفرش نفسي وروحي، لك تمشين فوقها فلن ارفُضا..

أنت التي سهرتِ لي ومن وجعي، كادت نفسكِ الزكية أن تمرضا..

عجزت أن أنام حتى أقبل يدك وإن نمت قربك عجزت أن أنهضا..

عبادة حبّك، ورضاك جنّات، كيف لا، والرّب في تنزيله قضى...

لم يبقى في القلب حبّ يُكتمُ.. ولا في النفس نفسٌ تنعمُ..
بكيتُ فراق الحبيب حتى، وجدتُ الموت دونه أرحمُ..
كتمتُ شوقي لرؤياه لكن، دمعي كذّب ما كنتُ أزعمُ..
حزن لم يدع شبرا بقلبي، وليت للمرء قلبان فيقسِمُ..
عذّبت روحي حرقا بالهوى، فصارت بين جنباي تتألمُ..
ونادتْ ربّها أرح مسكينة، وما ذنبها أن الفتى متيّمُ..
فكذبتها بأنّي محتقرُ الهوى، والحقّ انّي مغرمٌ، مغرمُ..
قبلتُ عزاء المشفقين تكرّما وإن كنتُ أرجو لُقياك وأحلمُ..
وهل نلتقي وبيني وبينكَ، بُعدٌ طعمهُ مرّ علقمُ..
كأنّ نفسي منه قد ألِفتْ، والأصل أن حبّك فيها أقدمُ..
فصرتُ بين الأمرّين تائها، كأنّي غريب عنّي أعجمُ..
رضيتُ الفراق ولستُ أرضاهُ إلاّ رضا الخيول حين تُلجمُ..
وليس حبّا في تعذيبكِ نفسي، إنما هو قَدَر عليّ محتّمُ..

لكلّ نفسٍ موعدٌ مؤجّلُ..
وكل فراق صعب مُوجِلُ..
فقدتكَ يا حبيبي وسيّدي، سندي وسُؤددي المُبجّلُ..
غبتَ عنّي وقد كنت أرجو، أن أزيدك من عمري لو تقبلُ..
ظلمتَ حينما خلّفتني وحدي، وكنتُ أظن أنّك عادلُ..
رحلتَ دون وداع كأنكَ، كنتَ تعلمُ انّي لا أتحمّلُ ..
لست أبكي هجركَ لي، ولا لأنّكَ أوّل مرّة ترحلُ..
ولكنّك ما اعتدتَ تركي، وما إعتاد غيابكَ المنزلُ..
مالي أراكَ في كلّ حينٍ، وفي أرجاء نفسي تتنقّلُ..
أرى بعينيكَ ما ترى عيني، وكلّ جميل بعينيكَ أجملُ..
مالي لا أنساك، والأيام قيل أنها كذلك تفعلُ..
لا تحسبنّ أن الحزن دمع، فالدمع في كل حال ينزلُ..
يبكي الشّقي إدبار حبيبه، وتراه باكيا حينما يُقبِلُ..
إن الحزن ذبحٌ في الحشا، وعيش منه الموت أفضلُ..
ملأتَ حياتي حزنا يا أبي، فليت الذي أماتكَ يَقتلُ...

الفهرس

اجتماع عائلي	5
مفاهيم	8
لن أقبل كل هذا	11
أنت السبب يا صديقي...	15
نصائح زائفة	19
أنت تتغير	23
الطريق إلى السعادة	26
من فقه الزواج	30
الخوف من المجهول	34
حديث المشاعر	38
كان يسقيها	44
خواطر	48